

ثقافة التسامح

ينبغي علينا أن نفعّل في حياتنا نصوص الوحي التي تدعونا إلى العفو والتسامح والمصالحة الاجتماعية والتواصل الإنساني والرحمة ببنى البشر، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ * ويبدأ هذا التسامح بالتسامح مع النفس، فلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن ولا نغذّبها بالكراهية والعدوانية، بل نغرس فيها شجرة الرحمة والمحبة والإيمان والسلام، ونسامح مع والدينا وقرابتنا وأهلنا وذوينا، فنصل ما أمر الله بوصله، ونرعاهم بالبر، ونحوظهم بالرفق والرعاية، ونعفو عن زلاتهم، ونتحمل أذيتهم، ونسامح مع أبناء مجتمعا، حتى إذا أخطؤوا أو أذنبوا أرشدناهم برفق، ونصحناهم بلين معتقدين أننا مثلهم، يقع منا ما يقع منهم، وعلينا أن نرسل للعالم رسالة التسامح وتقديم رسالتنا في حلة السلام والحرص على نجاتهم وفلاحهم ليأمنوا جانبنا، فنحن وإياهم نعيش على كوكب واحد، وبيننا مصالح مشتركة، ومنافع متداخلة، ويربطنا بهم حق الإنسان على الإنسان، وواجب البشر تجاه البشر، فيحسن بنا أن نريهم الوجه الجميل للإسلام البريء من العنف والفظاظة والغلظة والاحتقار والكبت والقهر؛ لأن الله أمرنا بالحكمة في الدعوة واللين في الخطاب والرفق في المعاملة مع حسن الحوار، بل نهانا عن الإرهاب الفكري، والسيطرة على العقول بالقوة، فقال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ * وقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ *

فالإقناع والحوار والحجة هي طريقنا الصحيح لتقديم رسالتنا وعرض مبادئنا، إن العالم لن ينصت لنا إذا فهم منا أننا نريد الاستيلاء على مقدراته، وسلب حقوقه والانتقام منه وتهديد حياته وتخويفه، بل علينا قبل أن نقدم له الحقيقة الناصعة والحجة البيّنة عن ديننا أن نجعله يشعر بحرصنا على حياته ونجاحه وسعادته، فإن الرسول ﷺ أتى لإسعاد البشرية لا لشقاوتهم، ولنجاة الناس لا لهلاكهم، ولسلامتهم وحرمة نفوسهم المعصومة، لا لإزهاق أرواحهم إلا بحقها

الشرعي، بل صرّح ﷺ يوم الحج الأكبر بكلمته الناصعة الساطعة الموحية المؤثرة حيث قال: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، كيف يقنع العالم بدعوتنا ويدخلون ديننا وهم يرون بعضنا يحملون عليهم في أوطاننا سلاح التهديد والوعيد، وهم عزلٌ من السلاح لم يأتوا لمقاتلتنا ولا لحربنا، وإنما أتوا لمصالح إنسانية ومنافع مشتركة وتعاون دنيوي.

لقد جرب الحكماء منا دعوتهم باللين والرفق إلى الإسلام فدخلوا في دين الله أفواجا، بخلاف مَنْ لم يسلك طريق الدعوة ولا الحكمة ولا الحجة الصحيحة، وإنما استخدم أسلوب الخطف والسلب والنهب والإرغام والإكراه، فلم يحصل له ثواب ولا نصر، حيث لم يظفر بإسلامهم واعتناقهم الدين، ولم يحقق ما يظنه نصراً جديداً وفتحاً مبيناً، بل قدم للعالم رسالة خاطئة مفادها أننا نتربص بالبشر ونتنظر غفلتهم ونتحين الفرصة على الانقضاض عليهم، ونرفض التعايش معهم، بل نهدد حياتهم ومستقبلهم، حينها يعدون العدة للاقتصاص والانتقام، وهم في عالم الدنيا أكثر عدداً وأقوى عدة وعتاداً وأمضى سلاحاً، ونحن لضعف تمسكنا بديننا نعيش الضعف مع قلة الاستعداد، وتفرق الكلمة، وشتات الشمل، والبدائية في الحضارة المادية، لماذا ندعو العالم إلى المنازلة والمصاولة؟ ولماذا نخرج الحيات من جحورها والثعابين من بيوتها ثم نعجز عن قتالها؟ إن مَنْ يقوم ببناء المساجد والمراكز الإسلامية ونشر الكتب والقنوات الفضائية، وإقناع العالم بالحكمة والبرهان والموعظة الحسنة، لهو أفيد للإسلام والمسلمين مليون مرة ممن شهر السلاح على المعاهدين والمستأمنين وأخذ يطلق خطاب الوعيد والتهديد واللعن والشتم، فهو زعلان وطفشان وزهقان وغضبان من العالم ومن نفسه ومن الغير ومن الأخ ومن الآخر ومن الماء ومن الهواء؛ لنقص حظه من العلم والمعرفة ولضيق نفسه عن أن يعيش الأمن والسلام والمحبة للناس والتواصل مع بني البشر ورحمة الإنسان بالإنسان، فهل آن لنا أن نمديد الصلح والتسامح، وأن نقدم بطاقة التعارف والتواصل؛ لينصت العالم لدعوتنا؟



مجتمع الرحمة

من يطالع نصوص الشريعة يجد أن من أعظم مقاصدها الرحمة والتواصل والتعارف، فالقرآن والسنة فيهما الدعوة الصريحة إلى نيل الفرقة والشقاق والبغضاء والشحناء وذم الاختلاف والتفرق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله ﷺ: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» وفي الوحي المقدس مدح الرحمة واللين والرفق، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ وقول الرسول ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، ولكنني أقول بكل صراحة: إن من ينظر إلى مجتمعنا يجد أننا قساة مع بعضنا، إذا خالفنا شخص أغلظنا عليه، وجرنا في الحكم، وقسونا في التصرف، وإذا لم يعجبنا قول أو رأي هاجمنا صاحبه بلا حدود وكأنه يُطلب من الناس أن يوافقونا في كل شيء وأن يلتمسوا رضانا، وأن يجاملونا، وأن يجبروا خواطرنا، وكأن أفكارنا وحي منزل، وكأن الحق يدور معنا حيثما درنا، والحقيقة أن رحمة الله أوسع من ذلك، وأن الإسلام أكبر من نفوسنا الضيقة، وأن في الشريعة من جسور التواصل والتقارب ما يفوق الوصف، إننا رحماء مع أنفسنا طيبون مع ذواتنا، فنحن نزكي أعمالنا ونعتذر لأخطائنا وندافع عن تصرفاتنا، لكننا مع الغير غلاظ شداد نبيكتهم ونحاسبهم على أخطائهم ونلومهم بعنف على تصرفاتهم، وأحياناً لا نقبل توبتهم ولا نرحب باعتذارهم.

إن الرسول ﷺ كان يجلس معه الصحابي ابن النعيمان الذي شرب الخمر مراراً فلما أتى به؛ ليقام عليه الحد سبّه أحد الصحابة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبّه، إنه يحب الله ورسوله»، ولكننا للأسف أحياناً نعين المذنب على ذنبه ونساعد المخطئ على خطئه بهوج تصرفاتنا وعوج طريقتنا، فنحن في الغالب لا نترك خط الرجعة لمن أذنب أو أخطأ في حقنا، بل تجدنا أحياناً نقوم بحملة شعواء على من قصّر من المسلمين تشهيراً وتهديداً وتجريحاً وتشويهاً، وكأننا نحن

ملائكة مطهرون أو أنبياء معصومون، لماذا لا نعترف ببشريتنا ونقصنا وعجزنا، ونعين من أخطأ، ونساعد من زل، ونأخذ بيد من سقط، ونلتمس العذر لمن أساء إلينا، ليعود الجميع إلى الجادة.

لقد قرأت سيرة الرسول ﷺ في جانب العفو والحلم والصفح والرحمة فذهلت لعظمة هذا النبي الكريم ﷺ وبحق قال له ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، إن بعضنا إذا خاصم أحداً لا يترك موضعاً للصلح ولا فرصة للحوار ولا إمكانية للقتاب، بل يقطع كل حبال الرحمة، ويهدم كل جسور التواصل والتسامح، أين مجتمع الرحمة منا، وأنت إذا خالفت البعض في مسائل يجوز فيها الاجتهاد، وتقبل فيها وجهات النظر شنعوا عليك، وصبوا عليك جام غضبهم، وكأن العناية الإلهية تراقبهم في كل حركة وسكنة، من الذي جعل العصمة من نصيبكم، والصواب دائماً حليفكم، والتوفيق أبداً معكم؟ ولكنه منطق العجرفة والعلو والاستكبار الذي ندّد به القرآن وهاجمه الوحي بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، لماذا نحتكر الحقيقة وحدنا وندعي الوصاية على الدين؟ ولماذا لا نتكلم على أننا عبيد خلقنا من التراب ونُدفن في التراب، وعلى أن أبناء المجتمع إخوان لنا، بيننا وبينهم إنسانية ودين وذمة ومعايشة ومواطنة ومصير مشترك، إن بعضنا عنده سهام كثيرة في جعبته كل يوم يطلق سهماً على من خالفه، فلا يسلم أحد من سهامه الطائشة، ولسان حاله ينادي: من ينازل؟ من يبارز؟ من يبايعني على الموت؟ يا خيل الله اركبي، رويداً رويداً يا بشر، مهلاً مهلاً يا ناس، السكينة السكينة يا عباد الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرفق الرفق أيها الناس، كلنا نطلب رحمة الله، الله وحده هو الذي سوف يحاسبنا، نحن كلنا ضعفاء تحت قدرته، مساكين تحت جبروت الله، فقراء إلى ما عند الله، لا نملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، أتينا من عالم الطين، وسوف نُدس في الطين، فليحترم

بعضنا بعضاً، وليرحم بعضنا بعضاً، فإن الحياة قصيرة، والمشوار قريب، والأيام قليلة، والفراق حاصل، فلنترك لنا ذكرى جميلة، وثناءً حسناً، وأثراً نافعاً؛ علَّنا نظفر بدعوة صالحة من قلب خاشع ولسان صادق إذا طُرِحنا حفاة عراة معدمين في القبور.



الغلو في الإعجاز العلمي

جددً عندنا في العصر الحاضر (الإعجاز العلمي للقرآن)، وهو جميل بلا غلو ولا تكلف ولا تعسف، ولكن الذي حصل أن بعض المشايخ تخصصهم في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث ونحوه دخلوا في هذا العلم، وصاروا مجرد نقلة عن أهل التخصص في علوم الدنيا، فيأتون بالآية القرآنية ثم يخبروننا أن السلف الصالح من القرون المفضلة لا يفهمون من الآية إلا الظاهر السهل البسيط، ثم يصيح هذا الشيخ قائلاً: ولكن المعنى أدق وأعمق، ثم يأتينا بمعنى للآية كله مجرد ظن واحتمال ووهم ثم يصفق بيديه ويضرب رأسه متعجباً مذهولاً كيف أنه اهتدى لهذا المعنى، وحتى المتخصصين في الإعجاز العلمي حملوا القرآن ما لا يحتمل، والحقيقة أننا نريد فهم السلف الصالح والقرون المفضلة للقرآن؛ لأنه لو كان تفسيرنا خيراً لسبقونا إليه، فهم الأبرقلوباً والأصفي عقولاً والأسلم منهجاً والأحسن طريقة، وأعلم أن القرآن فيه كنوز وأسرار ومقاصد عظيمة يكتشفها العلماء في كل عصر لكن إصرار البعض على أن المعنى المراد ما ذهبوا إليه، فمثلاً يقولون في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١١﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ إن المقصود بالبرزخ حاجز وهمي بين الماء العذب والمالح، ثم يضحكون ويقولون: ومع ذلك كان يظن السابقون أن البرزخ الحاجز الحسي مادي من الجبال ونحوها بين المياه العذبة والمالحة، مع العلم أن فهم السابقين أجمل وأقرب إلى مدلول الآية.

ومثلاً يقولون: إن المقصود في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أنه أقسم بالمواقع؛ لأن النجوم انطلقت من مواقعها من آلاف السنين، ولكن السلف لم يعرف ذلك، فلماذا جاءت الآية بذكر مواقع النجوم بالقسم بمواقع النجوم وليس بالنجوم، مع العلم أن فهم السلف وتفسيرهم أدق وأعمق مما ذهب إليه المتأخرون، ومثلاً يقولون: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ أن معنى

اهتزت أي تحركت البذرة حركة خفيفة تقاس بجهاز ريختر فتفتقس البذرة والمعنى عند السلف أي ترعرعت بالنبات، ومعنى السلف أبهى وأجمل، وما أدري ما لهم يذهبون إلى المعاني البعيدة ويتركون القريبة، ويعشقون الغامض ويهملون الجلي، ويهيمنون بالعويص الصعب ويهجرون السهل الواضح.

إن معجزة إنزال القرآن على الرسول ﷺ هي أكبر مليون مرة من الإعجاز الذي يذهبون وراءه، وإن خلق الله للقمر أعظم إعجازاً من انشقاق القمر، وإن إبداع الله للنجوم أكبر في القدرة من انطلاق النجوم من مواقعها، وإن قدرة الله في إنبات البذور أعظم في الإعجاز من اهتزاز البذرة كما يزعمون، وإن بديع خلق الله للبحر أجل آية من الحاجز الوهمي كما يقولون، يا أهل الإعجاز العلمي إياكم والغلو في الإعجاز والتعسف والتكلف فأيات الله في الكون وبديع صنعه في الوجود وأحرف قدرته في كتاب الكائنات المفتوح أكبر وأعظم من كل إعجاز تكتشفونه، إن الله في كتابه أمرنا أن نتفكر في خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والأنهار فلماذا تأخذوننا إلى دقائق وهمية لا يستطيع أحدكم أن يقسم بالله إنها المقصودة من الآية؟

إن الذي ملأ قلب أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد وبلال بن رباح والشافعي والبخاري وصلاح الدين الأيوبي من الإيمان واليقين إنما هو لمطالعتهم قدرة الواحد الأحد ومشاهدتهم للإعجاز في الأنفس والآفاق، وهذا يكفيننا ويشفيننا إذا فعلنا فعلهم، أما أن يأخذنا بعض المتخصصين وغيرهم إلى المعامل الكيميائية وأجهزة التحميض والتحليل، وعلب التخدير والقسطرة ليثبتوا لنا عظمة الله وإعجازه في الخلق وبديع صنعه في الكائنات فنقول لهم: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ومثل هؤلاء كمن قيل له: ما الدليل على وجود الناقة؟ فقال: بحنينها من آخر الليل.



نحن المجاهدون في سبيل الله

إذا كان الجهاد في سبيل الله هو رفع راية التوحيد وتحكيم الشريعة ونصرة الحق والدفاع عن الأوطان وحماية القيم وعمار الأرض فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد في سبيل الله الذب عن العقيدة والنضال من أجل حياة كريمة والكفاح لإرساء دعائم العدل والسلام والأمن والإيمان فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد في سبيل الله نشر العلم النافع وإشاعة المعرفة وتشديد صروح الجامعات وعمارة الحرمین وتكريم المصحف وطبعه ونشره وتقديسه وتعليم سنة الرسول ﷺ ونصرة المظلوم ونجدة الملهوف وحماية الضعيف والرحمة بالمسكين وتعليم الجاهل فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد في سبيل الله صيانة الدين والوطن وجمع الشمل وتوحيد الكلمة ونبذ الفرقة ومحاربة العصبية الجاهلية والدعوات العنصرية ومحاربة الشرك والبدع والخرافة والسحر والشعوذة فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد هو تخريب الأوطان وتدمير العمار ونسف الممتلكات وتفجير المباني وتعطيل التنمية وترويع الأمنين وقتل المعاهدين، والغدر بالمستأمنين، وإزهاق النفوس المعصومة، ونهب الأموال المحترمة، وتغيص الحياة، وتكدير جو الأمة، فنبرأ إلى الله من هذا الجهاد.

وإذا كان الجهاد حمل السلاح على المجتمع ومخالفة الإجماع وتعريض أرواح الأبرياء والعزل والأطفال للخطر وإشاعة الفوضى ونشر الكراهية والخروج عن الطاعة وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والإضرار بالمسلم والأذية بمن له عهد فنبرأ إلى الله من هذا الجهاد، وإذا كان الجهاد تشويه صورة الإسلام وصد الناس عن الدخول فيه وتقبيح محاسنه في عيون أعدائه وإعطاء الخصوم ذريعة للنيل منه وإتاحة الفرصة لهذه الأعمال الصبيانية الطائشة العبثية لغزو ديار الإسلام واستحلال محارمه والتلاعب بمقدساته وإهانة أبنائه، فنبرأ إلى الله من هذا الجهاد، إن الجهاد في سبيل الله عبادة مقدسة من أجل العبادات وأجمل القربات؛

لأنها ذب عن المعتقد والوطن وحماية للرسالة وصيانة للفضيلة ومحافظة على المكاسب، وكل أمم الأرض جاهدت وناضلت سواء بمنهج رباني أو منهج أرضي، وكل دول العالم تكافح لحماية كيانها وضون مكتسباتها، وكل الشعوب تستमित إذا قُصدت في مبادئها وأوطانها ولكن أشرف هذا الجهاد كله وأرفعه وأجله الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله ليس طلب الموت فقط ولكن طلب الحياة الكريمة؛ لأن الحياة في سبيل الله أجمل من الموت في سبيل الله، فالحياة في سبيل الله إيمان وعلم، وعمل وكسب، ومعرفة ونفع، وإبداع وإنتاج، ففي الحياة في سبيل الله عبودية رب الأرض والسماء، وأخذ العلم من العلماء، وتوفير الغذاء والدواء، والسعي في كشف الضراء، وإزالة البلاء، ونفع الفقراء، والوقوف مع البؤساء، فالعالم والأمير والوزير والطبيب والمهندس والأستاذ والجندي والفلاح مجاهدون في سبيل الله إذا صدقوا مع الله.

إن السعي في الكسب الشريف وتوفير القوت للأهل وكفالة الأرملة والمسكين واليتيم وبناء المساجد وحفر الآبار وإطعام الجائع وعلاج المريض جهاد في سبيل الله، نحن جننا كخير أمة أخرجت للناس لإسعاد البشرية لا لشقاوتهم، ولحياتهم لا لموتهم، ولراحتهم لا لتعبهم، ولأمنهم لا لتخويفهم، ولهدايتهم لا لتفجيرهم، كما رسول الله ﷺ: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»، أيها المسلمون: الحذر الحذر من فهم الجهاد في سبيل الله على أنه اعتداء على الآخرين وحرص على قتل الناس وحمل السلاح بغير علم ولا فهم ولا بصيرة ولا حكمة، وإن الجهاد في سبيل الله يقرره العلماء الراسخون والفقهاء الربانيون ولا يُترك فوضى لكل طويب علم وشاب غرّ وفتى مأزوم، وأحسن لهؤلاء أن ينصرفوا لطلب العلم وكسب المعيشة الشريفة حتى في بيع الحطب والفحم وجلب الأغنام وسياسة الشاحنات والخياطة والنجارة، ووالله إن هذه المهن أشرف ألف مرة من إراقة دم محرم وإزهاق نفس معصومة وترويع آمن وتخويف معاهد.



أمة الإسلام يقتل بعضها بعضاً

انظر إلى خارطة العالم فسوف تجد أن القتل والتدمير والتفجير في الدول الإسلامية، ففي فلسطين والعراق والصومال وباكستان وأفغانستان سفك للدماء وإزهاق للأرواح ونسف للبنية التحتية وتخريب للعمار، وقتات يكفر بعضها بعضاً وفتاوى طائشة تستحل دم المسلم وتخرجه من الملة وتحرم عليه الجنة، ماذا أصاب أمة الإسلام؟ أين نصوص الشريعة التي تدعو إلى المحبة والألفة والأخوة والوحدة والسلام؟ أين قول الباري عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقول الرسول ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، وقوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

لماذا بقية العالم مشغولون في البناء والصناعة والإنتاج والإبداع والاختراع والاكتشاف، وأمة الإسلام منهمكة في العداوة والفرقة والتقاتل والتناحر والتكفير؟ أخبار أمة الإسلام تنصدر أخبار العالم وأقوال الصحف وأنباء الفضائيات، فلا تسمع إلا أخبار تطاير الأشلاء وسقوط الجماجم وتيتم الأطفال وترميل النساء وهدم المباني ونسف الجسور وإحراق المدن وتعطيل النماء وترويع الآمنين وتعطيل العلم والحركة والتطور، أين علماء الأمة وساستها وعقلاؤها ومفكروها؟ إلى متى هذه المجازر؟ متى تنتهي هذه المذابح؟ متى تغلق فصول هذه الملحمة الإبليسية الكيدية؟ متى تقفل هذه اللعبة القذرة؟ متى يصحو الضمير؟ متى نعود إلى رشدنا، ونحكّم نصوص الكتاب والسنة التي تدعو إلى الرحمة والأمن والاتفاق ونبذ الشتات والتباغض والتقاتل؟ ألا يستحي من الله هؤلاء القتلة بمدن الإسلام الذين يحملون السلاح على المسلمين والمعاهدين والعزل والأبرياء والأطفال؟ ألا يكفيننا ما أصاب بلاد الإسلام من فقر وأمية وبطالة وظلم حتى قامت طوائف تضيف لنا مصائب

إلى مصائبنا وكوارث إلى كوارثنا، أمم الأرض مستغرقة بأنشطها الاقتصادية والفكرية والإبداعية، وأمتنا في حالة عزاء على قتلها وجرحها ومفقوديتها.

كلما فتحنا التلفاز وإذا أخبار المصائب في بلاد الإسلام تذهل العقل وتعمي البصر وتقتل الروح، أصبحت أعصابنا مشدودة وخواطرنا مكّدرة ونفوسنا منزعة مما نشاهده في بلاد الإسلام، جماجم مقطعة في السكك، دماء تسيل في الشوارع، مساجد تُهجر من المصلين، بيوت تُحرق أمام العالم، جامعات ومستشفيات ومدارس ومصانع تُهدم من أساسها وتُكس على ساكنيها، ألا دين يمنع؟ ألا عقل يردع؟ ألا شهامة تشفع؟ ألا حمية تدفع؟ ألا عين تدمع؟ إلى متى هذا المسلسل الحزين المبكي؟ متى تُعلن صفارة النهاية لهذه المأساة الدموية التي تجري على أرض الإسلام وباسم الإسلام وبنصوص الدين وبأيدي المسلمين؟ كلُّ يعد العدة وينشئ جيشاً ويتحين الفرصة لينقض على إخوانه المؤمنين، أحزاب ترفع رايات الإسلام، وتمني أتباعها بالشهادة في سبيل الله وتعدهم الجنة وتبشرهم بالنصر والتمكين وتستحل دماء الأحزاب والجماعات الأخرى بعدما تكفرهم وتشهد بردتهم وتقرُّ بأنهم من أهل النار مع الخطابات الحاقدة التي تغرس الكراهية والعدوانية في النفوس، فينشأ الشاب غاضباً عدوانياً مكفراً خارجاً عن الأمة حاملاً للسلاح على المجتمع مبيتاً نية القتل العمد لإخوانه، فالله نسأل أن يرفع عن الأمة الإسلامية سوط العذاب، وأن يكشف عنها هذا البلاء، وأن يزيح عنها هذه الغمة وأن يردها إلى الصواب، وأن يجمع كلمتها على الحق، وأن يهديها سواء السبيل.

